مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية -بحوث ودراسات-
المجلد: 11 العدد: 01، 2024 ص.ص: 329-345

دور مؤسسة الوقف الإسلامي في نشر ثقافة الابتكار والاجتهاد والتجديد (قراءة وتحليل في فكر مالك بن نبي)

The Role of Islamic Waqf Institutions in Spreading the Innovation, Ijtihad and Renewal Culture Reading and Analysis in the Thought of Malik) bin Nabi)

سلالي مراد
جامعة علي لونيسي البليدة 2
m.sellali@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/04/06 **تاريخ القبول: 2024/06/17**

ملخص:

ومن خلال الطرح الذي سردناه في الإشكالية والمتمثل في مدى مشاركة المؤسسات الوقفية في إصلاح المجتمع وفي نشر الثقافة والمعرفة الإسلامية التي تساهم في الدعوة لتجديد الفكر الاجتماعي والدعوة إلى الصحوة ودعوة الناس للاجتهاد والنهوض من الركود والبخل والكسل والعمل على تعديل مستويات المعرفة والسلوكيات السلبية وكذلك النهوض بمختلف ميادين الحياة بداية من الحياة الدينية إلى الحياة الأسرية، إلى ميدان الاقتصاد وغيرها من القطاعات الحيوية في حياة الفرد.

ومن خلال هذا العرض، قمت بتوضيح أهم العوامل التي تناولها المفكر مالك بن نبي في تحديد أسباب تخلف المجتمع العربي الإسلامي ومن ثم توضيح أهم الأفكار التي بنى من خلالها بن نبي أسس النهضة والحضارة ونلاحظ ذلك من خلال مؤلفة "ميلاد المجتمع".

الكلمات المفتاحية: المؤسسة، الوقف، مالك بن نبي، الإسلام، الابتكار، الاجتهاد، التجديد، الدين، الحضارة، الخطاب.

Abstract :

Through this study, we have discussed the problem of measuring the Islamic Waqks' institutions in contributing to the reform of society, the Islamic culture and knowledge dissemination. Which would play an important role in the call for the renewal of social thought: the call for Ijtihad and the awakening of stagnation, greed and laziness, a call to work to increase knowledge levels and change negative behaviours, as well as to promote various areas of life; namely, religious, family, economic life and other vital sectors of the individual's life.

This presentation deals with the most important factors mentioned by the thinker Malek Ben Nabi to determine the reasons for the backwardness of the Arab-Islamic society, and then clarifies the

most important ideas through which we can build the foundations of rebirth and civilization, this is what we observe through the work: "The Birth of Society".
Key words: institutions, Waqf, Malek Ben Nabi, Islam, innovation, ijtihad, renewal, religion, civilization, discourse.

مقدمة :

تعتبر الأخلاق أساس كل معاملات اجتماعية راقية وهادفة، ولا يمكننا أن نحدث التغيير والحصول على حياة اجتماعية مستقرة إلا بوجود علاقات اجتماعية مبنية ومترابطة مع الآخرين من أفراد المجتمع، وتلعب الأخلاق الدينية دورا هاما في حياة الناس اليومية، إن الإنسان هو كل مكون من أعضاء تؤدي وظائف جسدية وأخرى عقلية تؤدي وظائف عقلية، والكل موجود ضمن ذهن الإنسان.

لكن الجانب الخفي منه هو الجانب الروحي العميق من الجانب العقلي والجسدي، فروح الأخلاق تتطور وتنمو مع مرور الزمن ومنذ الطفولة، ومن خلال فكر مالك بن نبي، فالتربية الإسلامية تبدأ منذ السنين الأولى من التعليم، فحفظ القرآن الكريم والتفقه فيه وتعلم علوم الدين تنتج ذلك الكل من الجانب السلوكي والمعاملاتي الأخلاقي، الذي يؤسس مكانة الفرد وشخصيته في الجماعة أي المجتمع.

فمن أفكار المفكر الجزائري مالك بن نبي نذكر تركيزه على صناعة الفرد والإنسان القادر على مواجهة المشكلات الاجتماعية، والقادر على دفع عجلة التنمية من خلال الابتكار والتجديد الدائم والمتواصل لبناء دولة الحضارة والنهوض بمختلف مشاريع المستقبل، ومن هنا نطرح الأسئلة التي نتطرق في تحليلها في هذا المقال والتي جاءت كالتالي:

ما مدى مساهمة المؤسسة الدينية في تحقيق الأخلاق العالية التي تساهم في رفع مستويات التفقه والتعلم لدى الفرد؟؟ وهل تساهم الأخلاق الإسلامية في بناء فرد واعي ومبتكر ومفكر وقادر على مواجهة المستقبل وصناعة التجديد؟ وما هي القواعد الأساسية في فكر مالك بن نبي التي تطرح إشكالية بناء المجتمع المتطور والحضاري؟

أولا: التعريف بمالك بن نبي وفكره التجديدي

1 من هو مالك بن نبي :

مالك بن نبي مفكر جزائري من عمالة قسنطينة ، بالضبط من مدينة تبسة آنذاك كانت عمالة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، من عائلة محافظة ولد في الفاتح من جانفي 1905، عاش ظروفا مادية واجتماعية صعبة في طفولته خاصة بعد وفاة عمه الذي كان

يكفله ماليا، حفظ القرآن الكريم في الكتاب وبعدها درس في المدينة القرآن ، تلقى تعليمه في مختلف الأطوار بقسنطينة في المدارس الرسمية، كان متأثرا كثيرا بالمفكر الإمام عبد الحميد بن باديس خاصة بالأخلاق العالية والمتميزة التي عرف بها ، سافر إلى فرنسا في بادئ الأمر للبحث عن العمل، وبعدها لم يتحقق حلمه، ثم عاود السفر لكن في المرة الثانية كان للالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية لدراسة المحاماة ، لكن لم يوفق لأسباب عنصرية وسياسية كونه مسلم جزائري، وخلال تواجده بباريس لاحظ التطور التكنولوجي وذلك بمتحف الفنون والتكنولوجيا، حيث قرر الدخول إلى مدرسة اللاسلكي بباريس، وكان من الضروري دراسة الرياضيات لتحقيق ذلك، ولكن لم يتمم الدراسة بالمعهد لأن أستاذه في مادة الرياضيات وجهه إلى مدرسة الكهرباء والميكانيك نظرا لتفوقه في الجانب النظري فيها ، وانتسب في تلك الفترة إلى تنظيم الوحدة المسيحية للشبان الباريسي، حيث أعطت له هذه الفرصة تجربة للتعرف على الحضارة الغربية والجانب الروحي للعائلات والأسر الأوروبية.[1]

كانت له فرصة الزواج سنة 1931، من زوجة فرنسية، أسلمت وكانت زوجة في مستوى تطلعات بن نبي، ولقاءه بالمفكر "حمودة بن ساعي" الذي غرس فيه أول بذور الدراسات الاجتماعية الإسلامية، ومع لقاءاته المتكررة بالطلبة المفكرين، تمكن من إلقاء الكثير من المحاضرات وكتابة الكثير من المقالات والتي كان موضوعها حول الإصلاح والوحدة المغربية والإسلام.

2 نشأة فكر التجديد عند مالك بن نبي:

بداية فكرة التجديد عند مالك بن نبي كانت منذ بداية اتصالاته بمفكرين وباحثين وصحفيين ومستشرقين، حيث شغل منصب صحفي بجريدة "لوموند" "LE MONDE"، مع بداية اهتماماته في كتابة المقالات حول مشاكل العالم الثالث والدول العربية والإسلامية، وكان له أول مؤلف موسوم" بالظاهرة القرآنية" والذي طبع في باريس سنة 1947، الذي قرأه العديد من المفكرين والذين أسلموا بعد ذلك.

وبعدها صدر له كتاب "شروط النهضة" متزامنا مع ظهور رواية "لبيك" سنة 1947 و "وجه العالم الإسلامي " سنة 1954 ، وكانت رحلته إلى مصر الدافع الجديد في مواصلة بناء فكره الحضاري والتجديدي، وواصل العمل على مساندة الثورة بقلمه وكتب "النجدة الشباب الجزائري يباد" وكتاب "ميلاد المجتمع" و"تأملات في المجتمع العربي" و "حديث في البناء الجديد" وكانت اتصالاته بمجموعة من المثقفين في مصر عاملا هاما في بناء الفكر التجديدي ونذكر من بينهم "أحمد عبد الشرباصي" و"محمود شاكر" وغيرهم، واختير

كمستشار للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة، وبعد عودته إلى الجزائر سنة 1963 واصل كتاباته الهادفة للتجديد والابتكار ونذكر منها "آفاق جزائرية" و"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" [2]

وواصل بن نبي اجتهاده في بناء الفكر التجديدي والنهضوي للجزائر من خلال ندواته وملتقياته وكتاباته وأثناء سفره إلى مدينة الأغواط، لإلقاء ندوة هناك، اشتد عليه المرض وتوفي في 31-10-1973م.

ثانيا: الدين أساس التجديد عند مالك بن نبي :

1 تعريف الدين:

يأخذ الدين مكانة محورية في حياة الناس، لكونه يمثل ذلك الجانب السلوكي والمعاملاتي الذي يعطي لنا صورة الفرد في الجماعة، وبعدها صورة الجماعة أمام جماعة أخرى، حتى نصل إلى بناء اجتماعي له نفس الصورة المعاملاتية الصادرة عن معاملات دينية تطبق من طرف مجموعة كبيرة من الناس، فهناك من يقول من العلماء أن الدين هو الأخلاق وهناك من يقول أن الدين هو معتقد خفي وغيرها من التعاريف، خاصة الفلسفية منها.

جاء تعريف الدين في اللغة العربية كالتالي:

الدين الديانة ، هو اسم لجميع ما يعبد به الله والملة والإسلام والاعتقاد بالجنان والإقرار باللسان وعمل الجوارح والأركان، والسيرة والعادة والحال والشأن والورع والحساب والملك والسلطان والحكم والقضاء والتدبير،(ح) أدين، وديون، وأديان، ويقال: قوم دين، أي دائنون، الدينة الدين، والدين، والعبادة، والطاعة.[3] وجاء مفهوم الدين في قاموس العلوم الاجتماعية بالنسبة للأعراض السوسيولوجية صعب، بسبب التنوع الكبير في المعتقدات والممارسات وبسبب الأهمية المعيارية للدين، ويتخذ التعريف السوسيولوجي للدين صورتين أساسيتين: الأولى التعريف بالجوهر والثانية التعريف بالوظيفة، فالتعريفات بالجوهر تحدد الدين بماهيته وما هو عليها، والوظيفية تحدد الدين بفعل ما يقوم به.

وقد تطورت التعريفات بالجوهر ولا سيما التعريفات التي ترسم حدود الدين، وهنا نذكر تعريف تايلور للدين الذي يرى أن الدين يتضمن في الأساس عقيدة أو مؤسسات تتجه نحو الأرباب أو المتفوقين من البشر من الأسلاف أو أرواح الطبيعة.

ومن مميزات هذا التعريف أنه يشمل ما يؤوله العلم العام بأنه دين كما أنه قابل للتطبيق بشكل مباشر.

وتعريف الدين من جهة الكائنات ما فوق البشرية أو ما فوق الطبيعة هو تعريف بالجوهر يعتمد على الحصر والاستيفاء، إنه يستثني المعتقدات والممارسات الموجهة إلى قوى وسلطات ما فوق الطبيعة من النوع غير الشخصي، أما تعريفات الدين التي هي أكثر شمولية فنذكر منها بعض الصياغات من مثل قولهم: "الدين هو المعتقدات والقيم والممارسات التي ترتكز على قوى وعوالم وسلطات ما فوق الطبيعة(جون ويلسون) ويرى علماء الاجتماع في المدرسة الوظيفية وعلى رأسهم دوركايم: " أن الدين هو معتقدات وأفعال تتعلق بهموم غائبة أو برموز تصوغ تصورات لنظام عالم للوجود. [4]

وجاء تعريف الدين عند الفلاسفة المسلمين على النحو التالي:

يعرف الجرجاني وهو عالم وفيلسوف مسلم بأنه: وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم والدين والملة متحدان بالذات والشريعة من حيث أنها تطاع تسمى دينا. [5]

ويتفق الفلاسفة المسلمين ورجال الدين بأن الدين عند الله الإسلام، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والرسل والقرآن الكريم آخر الكتب السماوية والالتزام بالدين وتطبيق تعاليمه هو بالدرجة الأولى الالتزام بطاعة الله والإيمان بنبيه والقرآن الذي أنزل عليه حتى يرفع الله الأرض ومن عليها.

2 الدين وتجديد الفكر:

يساهم الدين في تجديد وتوجيه السلوك الإنساني، لكن هذا يكون ضمن إطار جماعي، خاصة وأن المعاملات اليومية للفرد متعددة بتعدد ميادين ومجالات الحياة ، والإسلام أقام لنا طريقا واضحا نتبعه حتى نصل إلى حدّ العمل به دون أن نشعر بما يحدث من تغيرات حولنا، خاصة في الحياة الثقافية الأخرى المتزامنة مع تطور وتغير العالم بمعنى أننا نبقى ملتزمين بتطبيق المعتقدات والطقوس الدينية كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولا نحدث فيها تغييرات تمس إيماننا بالدين أي بالقرآن الكريم وبقوة الله تعالى، فالإسلام وضع لنا القرآن كتابا نتبعه وهو جملة من الأحكام المتعلقة بالعبادة وبالسلوك الفردي والاجتماعي ، وقد طبع بطابعه مختلف المؤسسات ، وحدد طرائق تصرف المؤمن وتفكيره ووسع مجاله إلى الجانب العقلي للحياة ليضع نفسه في أصل عدة علوم.[6]

وبالعودة إلى جذور التاريخ ومع البدايات الأولى لانتشار الإسلام في الجزيرة العربية، حيث كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيمان بالرسالة الجديدة المتمثلة بالإيمان بالقرآن الكريم باعتباره النواة الأولى للمجتمع المستقبلي في مكة والجزيرة العربية[7]

إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام منذ بداية دعوته للإيمان بالإسلام، في نشر الفكر الجديد بين الناس، فهو مبني على العامل الروحي وهو الإيمان وتسليم النفس والذات لله سبحانه وتعالى أي بتجديد طريقة التفكير والهدف منها تجديد السلوكات والمعاملات وخلق تغيير شامل، وكامل في مختلف العلاقات الاتصالية في المجتمع الذي يدين بنفس الدين أي الإسلام.

ومن بين وظائف الدين في المجتمع بناء شخصية الفرد لأن الإنسان منذ ولادته يعيش في وسط جماعة يرتبط مع أعضائها بعلاقات اجتماعية، يتوقع أن يطور في وقت مبكر، ويفتخر الفرد بالانتماء إلى تيارات فكرية[8]، سياسية، اقتصادية لتطور من حياته ومن تحقيق القدر الكافي من احتياجاته وتحقيق أحلامه.

وللدين الأثر الكبير في إعادة بناء الأفكار بما يتماشى والمتغيرات المتحكمة في التغير الاجتماعي اليومي الحاصل في بيئة الإنسان ونقول أن القرآن الكريم أرسل للمؤمنين الذين يطبقون تعاليمه في مختلف الأزمنة والأمكنة ومع مختلف الوضعيات والحالات ضمن إطار العلاقات الاجتماعية، وخاصة المعاصرة منها، فالفرد يجد نفسه في حوادث متغيرة بطريقة سريعة ومتسارعة حيث يتطلب منه الحال التفكير في أقصى سرعة لإيجاد الحلول للمشاكل المطروحة، لذلك الدين يعلم الفرد التأقلم مع كل الحالات خاصة منها تلك التي تمثل مرض اجتماعي يعرقل حياته التعبدية والدينية.

3 الدين وبناء الحضارة:

إن الدين كما أشرت سابقا محور كل العلاقات الاجتماعية والاتصالية بين الناس، وبالتالي يساهم في تحديد مقومات وأسس الحضارة منذ بداية نشأة الفرد حتى بلوغه الكهولة ، وهذه المراحل من العمر كلها تمثل بناء ضمن البيئة الاجتماعية ، لذلك فالحضارة تمثل تلك التغيرات التي تحدث في حياة الفرد عبر مختلف الفترات الزمنية ويأتي تعريف الحضارة أو مفهوم الحضارة في مختلف القواميس والمعاجم المتخصصة متقارب، لكن نأخذ مفهوم الحضارة الذي قدمه لنا المفكر المصري وعالم الاجتماع "عاطف غيث" والذي يشير إلى أن

مصطلح حضارة هو اكتساب الطبقات الدنيا صفات الأدب الخلقي والذوق من الطبقات العليا.[9]

ومن خلال تحليل تعريف عاطف غيث للحضارة، فإنني أقول أن الإسلام الذي أعطانا كتاب الله المتمثل في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، خير خلق الله، كامل الأخلاق وسامي الشخصيات فوق الأرض، نقتدي به ونأخذ من صفاته ومن سلوكياته ومن أدبه لنتمسك بالقرآن الكريم آملين رضا الله سبحانه وتعالى، فالرسول أمة، وهو أعلى طبقات المجتمع ونحن المتعلمين والمتفقهين في الدين نرجو أن نصل للتعلم والتربية من خير الأنبياء وخاتمهم.

ويعتبر العلماء أن وجود تقسيم العمل للعمل المعقد ووجود المدن ووجود التكنولوجيا المتقدمة هي مؤشرات للحضارة، ويشير كذلك البعض منهم أن الحضارة تتمثل في الترتيبات الهرمية الاجتماعية الداخلية والتخصص ونمو المدن أو عدد السكان المطرد، وتطور الرياضيات والكتابة وهناك من المفكرين من يربط الحضارة بالثقافة حينما تتسم بوجود عناصر وسمات مشتركة وهناك من وضع فرق بين الثقافة والحضارة، فالثقافة تشتمل على الأفكار الإنسانية والمبتكرات المتصلة بالأسطورة والدين، والفن، والأدب، بينما الحضارة هي مجال الإبداع الإنساني في العلم والتكنولوجيا، وجاء تعريف الحضارة حسب علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في الوقت الحاضر إلى الفصل بين مصطلح الثقافة والحضارة ، وذلك بجعل الأول قاصرا على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية مثل الدين والفن والأدب والغيابات الأخلاقية القصوى، بهذا المعنى تصبح الحضارة هي التنظيم الكلي الذي أنتجه الإنسان في محاولته للضبط والتحكم في ظروف حياته، وهو لا يشتمل فقط على اتساق التنظيم الاجتماعي بل على الأدوات والوسائل الفنية والمادية[10]

إن الناظرين في تاريخ المسلمين الحضاري ، يلاحظون ازدهار "الاجتهاد" مع ازدهار الأمة الإسلامية الحضاري و المعرفي والتغير الإيجابي في ميادين الحياة، فلقد أتاح "الاجتهاد" بعقل الأمة أن يبدع الازدهار الحضاري وكان دافعا للصحة والحيوية والحياة الإيجابية، والإسلام مبني على العقلانية[11] ،التي تدفع الفرد في البحث والنظر والاستدلال، فحالة "الاجتهاد" تلزم الفرد دائما التفكير في تنمية قدراته المعرفية الإنسانية لتحقيق النمو والرقي في مختلف ميادين ومجالات الحياة.

ثالثا: الأخلاق أساس تنمية الابتكار

لقد أسس علماء الاجتماع مبدأ المعاملات بين الناس على العامل الأخلاقي أو المتغير السلوكي خاصة الإيجابي منه والذي يعتبر محفز للتنمية البشرية ورفع روح الابتكار والإبداع، إنّ" الاجتهاد" كما هو معروف في المجتمعات الإسلامية مطلوب على كل مؤمن بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، والالتزام بتعاليم الإسلام يرفع من درجات الوعي والفكر ويدعم جذور الأخلاق الحسنة فتنمو وتتطور لتصاحب كل تغير ناجح في المستقبل.

2 تعريف الأخلاق:

إنّ الأخلاق قوة من القوى الداخلية والذاتية التي يختص بها الفرد ويتميز عن الباقي وذلك من خلال المعاملات والعلاقات الاجتماعية اليومية، ولا يمكن تفادي منطق التغير والتحول في الأخلاق، لأنها مربوطة بجملة من التفاعلات الاجتماعية المعقدة والتي تحدث حالة من التكرار في السلوك والبناء الاجتماعي.

ومن خلال فلسفة "نيتشيه" فإننا نلاحظ أنه يرى أن الدين والأخلاق شكلين من الأشكال التي تظهر فيها إرادة القوة لدى الضعفاء، أما المتدين هو الفرد المقيد وليس حرا، لذلك تجده غير صريح. والأخلاق تظهر في الغالب عند العبيد في شكل إرادة قوية وتستخدم الأخلاق كوسيلة لبلوغ هدف، إن إرادة الخير غير متأصلة في طبيعة الأشياء لكنها تنمو فقط في المجتمعات ، فالإرادة من وجهة نظر الأخلاق تمكننا من فهم الأخلاق بوصفها مذهبا يتعلق بعلاقات القوة تنشأ في ظله الظاهرة التي نسميها الحياة[12]

إن الفرد المسلم المطبق لتعاليم الإسلام يؤمن بأن الأخلاق جزء من الدين وتستمد منه ولا تنفصل عنه ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، وتتبدل العادات والتقاليد، لكن الأخلاق لا تتبدل ولا تتغير، والإسلام هو الدين الحق الذي قام على دعائم العقيدة والشريعة والأخلاق دون الفصل بينهما والإسلام أقام لنا منهجا أخلاقيا لبناء الإنسان لذلك نقول أنه هناك طرق بين مفهوم الأخلاق في الإسلام والمفهوم الغربي، فالإسلام يرتكز على منهج لا يتغير ولا يتحول والمنهج الغربي قابل للتغير والتحول، لذلك نقول أن هناك ترابط بين الأخلاق والدين ، فالدين أصل والأخلاق فرع ، وثبات القيم الأخلاقية الأساسية مرتبط بالإنسان والفطرة البشرية وبالمقابل يواجه الفكر الإسلامي مفاهيم الأخلاق الغربية والتي تقوم على المفهوم المادي ونسبية الأخلاق وتغيرها من زمن إلى زمن.[13]

والإسلام يسمو بأخلاق المسلم ويدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق في معاملته للناس، لأن الأخلاق هي الجانب التطبيقي للمسلم في كل أعماله ومعاملاته وعلاقاته بالناس والدين الحق يهدف إلى إقامة مجتمع فاضل، عن طريق السمو بالعلاقات الإنسانية، وكلما تمسك الإنسان بمبادئ الإسلام كلما ارتفعت مستويات أخلاقه.[14]

3 تعريف الابتكار

إذا كان الفرد واعي بمختلف المشكلات التي تحيط بمجتمعه وقادر على تحقيق البحث وإيجاد الحلول اللازمة لها، ويتميز بالفطنة والذكاء وسليم الجسد والعقل، نقول أنّه قادر على تحقيق التغيير والحداثة أي قادر على تحديث حالة المجتمع الذي يعيش فيه ويستطيع أن يقدم الأشياء الجديدة، وهنا نقول أنه قادر على الابتكار لتحسين مستوى معيشته.

وجاء تعريف الابتكار من طرف"جوزيف شوميتير" صاحب نظرية التدمير الخلاق (LA DESTRUCTION CRÉATRICE) أن الابتكار هو أساس كل تنمية في أي بلد، وحسبه الابتكار هو واحد من عوامل التطور الاقتصادي، وهو مصدر من مصادر التغير الاجتماعي[15]

وكما أشرنا سابقا أن الدين يساهم في ترسيخ السلوكيات السليمة التي تساعد الفرد على التعلم، خاصة وإلى التربية الإسلامية والتفقه في الدين أي تعلم التفسير، ترفع من مستويات الوعي وبالتالي يصبح الفرد قادرا على التفكير الواعي، ويمكنه المساهمة في الإبداع واكتساب المهارة.

ومن خلال طموحات الشباب الهادفة إلى تحقيق التنمية والتطور الاجتماعي لا بد أن يصاحبه "التفكير الابتكاري" وذلك لأن اعتبارات المستقبل تتطلب دائما التفكير وفي الغالب يكون الفرد غير قادر على الحصول على المعلومات الكافية لبناء المستقبل[16]

4 الابتكار والاجتهاد أساس تنمية المجتمع:

إذا كان من الممكن المقارنة بين الوعي والتفكير والابتكار، نقول إنهم عمليات عقلية تنشأ من خلال مسار تربوي تعليمي تفقيهي مبني على أساس منهج علمي ومسارات تكوين عبر مختلف مراحل حياة الفرد، بداية من الطفولة واكتساب المعرفة والمهارة في الأسرة ، ثم الانتقال إلى المدينة وبداية التعليم مع مزاولة حفظ القرآن الكريم ومراجعته والتفقه فيه من الكتاب أو في المدرسة القرآنية أو في ملحقة التعليم القرآني بالمساجد، تتحقق بداية التربية

الروحية أو غرس أول معالم التربية الإسلامية التي تساهم في بناء الإنسان المسلم الذي يتسم بالأخلاق الحسنة وهنا نستذكر فكرة ميلاد جديد لحياة الإنسان.

ويشير الشيخ الإمام محمد الغزالي في مؤلفه "هذا ديننا" والذي تطرق فيه إلى فكرة ميلاد الإنسان ومعرفته للحياة الحقيقية حينما تنشأ الصلة القوية والمتينة مع الله، والموصولون بالله هم طلاب كمال وعدل وعفاف وتقوى، وما تنتشر البركة في الأرض والطمأنينة في المجتمع إلا في ظلال هذا الإيمان ، الذي يشق طريقه في ضمان السماء، وهناك فرق بين المؤمن الصحيح والمؤمن المزيف، فالأول يولد به المرء ولادة جديدة ، ويحيا به حياة رشيدة أما الآخر فلا يصنع شيئا، والأول كذلك يتحول إلى قوة دافعة إلى فعل الخير ونصرة الحق كما يتحول الوقود في الآلة إلى حركة دوارة فاسدة أما الآخر فصفر.[17]

والمسلم مطالب بالاجتهاد في أمور الدنيا وذلك طبعا بعد اكتسابه الحكمة الكافية، والخوض في رحاب الإسلام أي تدبر الدين والتفقه فيه، ويطبق سنن الإسلام في حياته اليومية من أقوال وأفعال، فإذا امتلك الفرد القلب التقي والبصر القوي يستطيع أن يصرف أحوال الحياة التي تلقاها تصريفا يطبعها بطابع الدين، وذلك لأنه اجتهد في تحويل المعارف الدينية إلى معاملات حياة يومية في مجتمعه.

والمسلم مطالب بالاجتهاد في شؤون الحياة وبذل المجهودات اللازمة من تفكير في حل المشكلات التي تصادفه ويتلقاها في حياته اليومية وكذلك هو مطالب بالاجتهاد لتحسين ظروف معيشته في بيئته وفي مجتمعه والعمل على خلق الثروة، وهذا يعني بكل بساطة الابتكار والإبداع.

رابعا: مؤسسة الوقف الإسلامي أساس بناء الأخلاق لتحقيق الابتكار والاجتهاد والتجديد.

لقد عرفت الحضارة الإسلامية اسمى صور الأخوة والوحدة والتطور لبلوغ التنمية الاجتماعية والرقي الثقافي وكان ذلك من خلال حث الإسلام المسلمين على الإنفاق في سبيل الله حتى ينال التقوى والبر حيث قال تعالى: ~{وما تنفقوا من خير فلأنفسكم}~ [سورة البقرة ، آية 272] ، وقوله تعالى: ~{مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}~ [البقرة 245] وقوله كذلك~{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}~ [آل عمران 92]

ومن القرآن الكريم انطلق الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء أعمدة المؤسسات الوقفية الداعمة لنشر وتعليم الدين للناس فكان أول مثال يقتدى به في الوقف، حيث أوقف الكثير مما يملك من بساتين، خدمة للدين، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتصدقون بمالهم لخدمة الفقراء والمساكين وخدمة الإسلام، ومن هنا نشأ الوقف، باعتباره ممول لكل المؤسسات الاجتماعية بالموارد المالية التي تعينها على أداء رسالتها الإنسانية والنبيلة.

والوقف كما قال جابر بن عبد الله الأنصاري:

فما أعلم أحدا ذا مقدرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار إلا حبس مالا من ماله صدقة موقوفة، لا تشترى ولا تورث ولا توهب، ثم تتابع المسلمون على ذلك جيلا بعد جيل[18].

ومن أهم المؤسسات الخيرية، المساجد التي تحظى باهتمام كبير من طرف الممولين والمدارس القرآنية والزوايا وغيرها من المؤسسات الخيرية التي تساهم في دعم المعوزين والفقراء.

1 دور مؤسسة الوقف الإسلامي في إنتاج الخطاب الموجه للابتكار والاجتهاد والتجديد.

نعم إن مصطلح التجديد متشعب ومتعدد المضامين خاصة مع تنوع خطاب التجديد، مع تنوع التيارات المختلفة الأفكار والثقافات، لكن بالرغم من ذلك فإن مطلب التجديد أصبح ضرورة وبرز كإشكالية حقيقية تواجه الأمة، والواضح من خلال القراءات والاطلاع على الدراسات الفلسفية أن المصطلح نوقش في حقله الفلسفي مثله مثل مفهوم الحرية ومفهوم الحداثة والثقافة وكل هذه المفاهيم تبقى صعبة التحديد والدراسة، ومصطلح التجديد يستخدم في الخطاب الإسلامي المعاصر.

إن مصطلح تجديد كلمة شرعية أصيلة، ومن خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"، وهذا ما تناوله العلماء المسلمين في مؤلفاتهم، نذكر المؤلفات التي تناولت قضية الخطاب الديني مثل كتاب المتعال الصعيدي: "المجددون في الإسلام" وكتاب الشيخ آمين الخولي الذي يحمل نفس العنوان. [19]

ونقول أن تجديد الفكر يتمثل في العودة للفكر الصحيح دون عوائق أو أوهام تفسد الفهم السليم النابع عن المصدر الأساسي القرآن الكريم والسنة النبوية، لذلك فرض منطق لمواجهة

البدع والخرافات التي شوهت الدين وكافح العلماء المجددون من أجل الحفاظ على طهارة الدين ونقائه.

لقد ساهمت مجهودات المفكر المصري محمد عبده الداعية إلى إصلاح الأوضاع في جميع مجالات الحياة بداية مع الجانب الديني إلى الاجتماعي وإلى السياسي حيث ألف الكاتب عباس العقاد عنه كتابا موسوم ب: "عبقري الإصلاح والتعليم"

وهناك مصطلح الصحوة الذي يعني عودة الانتباه بعد غيابه ويقصد بها في بعض الأحيان اليقظة وهنالك مصطلح الإحياء وذلك لبثه روح وعزيمة جديدة في نفوس الشباب وهناك مصطلح النهضة الذي تخطى الخطاب الديني نحو مستقبل مادي، حيث ظهر ذلك على مؤلفات العلماء والكتاب مثل كتاب "نهضة مصر" لمؤلفه أنور عبد المالك.[20]

بالرغم من الأزمات التي مر بها الخطاب الديني إلا أن المؤسسة الوقفية أو الدينية المتمثلة بالدرجة الأولى في المساجد تشارك دائما في إنتاج خطاب ديني يساهم في التوعية والإرشاد والتوجيه خاصة الخطابات الهادفة للإصلاح والصحوة والنهضة والتجديد، لكن لا بد من التفريق بين التجديد في الإسلام والتجديد في الفكر الإسلامي، وتجديد الدين وذلك لأن الإسلام هو دين الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وهو عقيدة ثابتة على الدوام، وأصول راسخة ومبادئ خالدة لا يجوز الاجتهاد فيها بالزيادة أو النقصان.

2 مساهمة أئمة المساجد والعلماء والمفكرين في نشر ثقافة الاجتهاد والابتكار والتجديد:

لقد عرف العالم العربي الإسلامي مجموعة هائلة من المفكرين والعلماء الداعين للإصلاح والصحوة والنهضة للتغيير الإيجابي وللعودة إلى معالم الحضارة التي بناها المسلمون خاصة ومع ارتفاع أصوات التجديد والتحديث والنقد الذاتي، وركز المفكرين العرب المسلمين على أن معظم الحديث كان يختزل الخطاب الديني في مجال الدعوة والإرشاد وخصوصا خطبة الجمعة.

وليس الخطاب الديني بمفهومه العام، ومعناه الفكر الإسلامي فكان وأنه هناك من المفكرين الذين يرون أن الخطاب الديني أصبح غير قادر على تحقيق المنتظر منه وهو العودة إلى الاجتهاد والإصلاح، ولكن لا بد من العمل إلى دراسة الخطاب الديني مع واقع العصر والظروف المحيطة به.

تبنى الحضارة على أساس العدالة الاجتماعية بين أفرادها في المجتمعات التي لا يتساوى فيها الأفراد في الحقوق والواجبات ليست بيئة صالحة لنمو الكفاءات، وهنا نقول أن الابتكار

لا يتساوى فيه الأفراد في الحقوق والواجبات وينبثق إلا من عقول لها الطمأنينة النفسية الناشئة من ثقة الأفراد، بعدالة مجتمعهم والمساواة ركيزة أساسية من ركائز الحرية فالمساواة أساس العدالة الاجتماعية. [21]

والحرية متغير أساسي لتمكين الدعاة والأئمة ونشطاء الخطاب الديني من إنتاج خطاب يساهم في نشر ثقافة الاجتهاد والابتكار والتجديد في المجتمع.

والخطاب الديني في اللغة من المخاطبة أي المناداة والمكالمة والمحادثة في الاصطلاح هو مخاطبة الغير بإبلاغ الشرع عن الله ورسوله وبطريقة خاصة وبأسلوب منفرد، ويستعمل المتدين المخاطب الدين للإقناع وذلك لإقناع المخاطبين أو المستمعين أو المستقبلين للأفكار بأمور إما دنيوية أو أخروية، والخطاب الديني في الإسلام هو الخطاب الإسلامي لأن الخطابات الدينية متعددة الأبعاد ونذكر أن هناك خطاب كتابي ويهودي ونصراني والخطاب المجوسي والخطاب البوذي، وهناك خطابات متعددة، وهناك الخطاب الإسلامي وهو كذلك أنواع فهناك الخطاب السني بمذاهبه والخطاب الشيعي بأطيافه الخارجي والخطاب الأطيافي لمختلف الأطياف الإسلامية، باعتقاداتها المختلفة وغير ذلك من الخطابات.[22]

وللتذكير فإن قوة المخاطب أي الداعية أو الإمام من حيث لغة الخطاب أو التمكن من مضمون الخطاب أي الرسالة المرسلة للناس، تلعب دورا هاما في التوجيه والتوعية وغرس روح الابتكار والاجتهاد في الحياة اليومية، لأنه للأسف هنالك الكثير من الناس الذين لا يفهمون معنى وتفسير السور القرآنية ويفهمونها فهما محدودا، ولا يتفقهون في معانيها، حتى بالسؤال عند أهل العلم من شيوخ وأئمة وباحثين، وهذا يعود على المجتمع بالمفاسد الاجتماعية والمشكلات الدينية التي هي جزء من الحياة اليومية للناس .

3 الإسلام أساس بناء الحضارة عند مالك بن نبي:

يركز مالك بن نبي في عملية البناء الحضاري على الثقافة والتي هي حسبه ظاهرة تخص الفرد من ناحية سلوكياته وأسلوبه في الحياة، ومن ناحية أخرى يقول مالك بن نبي أن عملية تنظيم الأفكار في المجتمع لها أهمية كبيرة وأساسية ، فيمكن أن تكون سببا في تنمية المستوى المعرفي والسلوكي في مجتمع معين ويظهر ذلك من خلال علاقاتهم الاتصالية اليومية، وإما أن تكون سلبية فتكون سبب جمود أفكار الفرد وفي الغالب تكون أفكارا سلبية وهدامة تؤدي إلى الركود والفوضى والتخلف، لذلك يرى مالك بن نبي كذلك أن التنظيم يلعب دورا هاما في تطور المجتمع فإذا كانت حركة التنظيم حركة جمود وركود وفوضى فيجب

تعديلها وتغييرها نحو الأحسن وذلك ببناء هذه الأفكار بعوامل التنمية وعلى رأسها التعليم واكتساب المعرفة ومن جهة أخرى تنمية جانبها الروحاني أي الدين وذلك بالعودة إلى رفع مستوى التفقه والعلم الديني الذي يمثل سببا من أسباب الحضارة والتطور،[23].

والمشكل الأساسي في المجتمع المسلم هو عدم قدرة الفرد المسلم على التفاعل والتعامل مع المشكلات المطروحة أمامه، وعدم نمو فكره وانسجامه مع مقومات الحضارة، لذلك بقي المجتمع في حالة ركود، لكن الإسلام كدين صالح لكل زمان ومكان يطالبنا بالاجتهاد لتحسين مستويات الحياة وتنميتها لا العكس.

خاتمة:

إن الحضارة والرقي واكتساب الثقافة والمعرفة في المجتمع الإسلامي ترتكز على الاجتهاد والفكر والتجديد والابتكار، وكل هذه العوامل والأسباب تساهم في تحسين ظروف الحياة اليومية للناس، إن مؤسسات الوقف الإسلامي تمثل قوة التغيير والتكافل والتحديث والرعاية الاجتماعية لكل أفراد المجتمع وخاصة الفئات الهشة، وبما أنها إحدى المؤسسات التي تم اعتمادها وتنظيمها في بدايتها في المجتمعات الإسلامية وذلك منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته حتى يومنا هذا ، فلقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم سنة التبرع والتطوع والإنفاق في سبيل الله بالمال والفكر والجهد من أجل تحقيق العدالة والمساواة في المجتمع.

وهذه الأفكار التي نادي بها المفكر مالك بن نبي الذي ركز على دور المساجد والزوايا ومؤسسات الأوقاف في رفع الجمود والخمول والركود عن الفرد المسلم وخاصة التخلف الذي أصاب المجتمع، ومن خلال طرحه نجد أنه يطالب المسلمين والعرب بالعودة إلى روح الإسلام وتطبيق تعاليمه للوصول إلى إحداث التغيير والتنمية.

قائمة المراجع:

1 بودقزدام عمران: **التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي**، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص27.28

2 بودقزدام عمران: مرجع سابق ، ص31.33.

3 إبراهيم مصطفى وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، المكتبة الإسلامية للنشر والطبع، الجزء الثاني، إسطنبول، تركيا، 2020 ، ص311.

4 ميشال مان: ترجمة، عادل مختار الهواري: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس، مصر، 1999، ص600.601.

5 صلاح الدين الشروخ: **علم الاجتماع الديني**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص9

6 يوسف شلحت: **مدخل إلى علم الاجتماع الإسلام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،لبنان ، 2003، ص166.

7 محمد عبد النور ، **علم الاجتماع الوحي المحمدي**، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2015، ص 160.

8 مصطفى عمر التير،رولف فيغر سهاوس ، **دور الدين في المجتمع**، دار الفكر للنشر والتوزيع، 2010،ص39.

9 محمد عاطف غيث: **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، مصر، 2006، ص 54.

10 محمد عاطف غيث: مرجع سابق ذكره، ص54.

11 محمد عمارة ، **الإسلام والمستقبل**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2 ، مصر، 2019، ص 20

12 يسرى إبراهيم ، **فلسفة الأخلاق** ، فريدريك نتيشه، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2007، ص246.

13 أنور الجندي، **مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام**، دار الكتب، الجزائر، 1987، ص57

14 أحمد محمد إسماعيل برج ، **أثر العبادات في وحدة المجتمع الإسلامي**، دار الجامعة الجديدة للنشر، مصر، 2004، ص58.

15 مولاي أحمد، **المقاولاتية بين الثقافة المقاولاتية وإشكالية إنشاء المؤسسات**، مطبوعة دروس، جامعة أحمد بن بلة وهران ، معهد العلوم والتقنيات المطبقة ، الجزائر، السنة الجامعية 2019، 2020، ص8.

16 راجي عناية، **فكر جديد لمجتمع جديد**، دار النهضة للنشر والتوزيع، مصر، 1999، ص09.

17 محمد الغزالي، **هذا ديننا**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط09، مصر، 2012، ص79.

18 عبد الحليم عويس ، **الحضارة الإسلامية** ، إبداع الماضي وأفاق المستقبل فاصل مكتبة الأسرة، مصر، 2012، ص110..111.

19 أحمد عرفات القاضي، **تجديد الخطاب الديني**، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2008، ص22.23.

20 أحمد عرفات القاضي، مرجع سابق، ص27.

21 طارق كمال، **أساسيات في علم الاجتماع الديني**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، مصر، 2018، ص160.

22 مبروك بن عيسى، الخطاب الديني في الإسلام، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2010، ص9.10.

23 موسى لحرش، **استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي**، مختبر التربية الانحراف والجريمة في المجتمع، جامعة عنابة، الجزائر، 2006، ص172.